اللغة العربية رافد حضاري لمجموعة من الثقافات

إعداد: الأستاذ الدكتور حميد فؤاد

المملكة المغربية

البريد الإلكتروني: h.hamid1981@outlook.com

الملخص:

مثلت اللغة العربية رافدا إنسانيا متميزا لمجموعة من الحضارات، تفاعلت فيما بينها لتنسج ميراثا إنسانيا مازالت معالمه قائمة إلى الآن.

لذلك نسعى في هذه الورقة البحثية إلى تتبع مدى تأثير اللغة العربية على مجموعة من الحضارات، يمكن تلمس هذا من خلال التمازج الذي تم على مستوى الشعر والخطابة والمقامة، كما يمكن تتبعه انطلاقا من اللسان المتداول لدى مجموعة من الشعوب، استطاعت أن تكون لسانا يمزج بين لغتها واللغة العربية في العديد من المناسبات.

تلامس الورقة البحثية أوجه التأثير والتأثر بين اللغة العربية ولغات أخرى، ومن جهة أخرى تبيان انعكاس اللغة العربية على العديد من ثقافات شعوب، شكلت اللغة العربية رافدا إنسانيا متميزا لمجموعة من الحضارات، تفاعلت فيما بينها لتنسج ميراثا إنسانيا مازالت معالمه قائمة إلى الآن.

الكلمات المفتاحية:

اللغة العربية – الحضارة – التلاقح الثقافي

Summary: Summary:

The Arabic language represented a distinct human tributary for a group of civilizations, which interacted with each other to weave a human heritage whose features still exist today.

Therefore, we seek in this research paper to trace the extent of the influence of the Arabic language on a group of civilizations. This can be felt through the blending that took place at the level of poetry, rhetoric, and maqama, and it can also be traced from the tongue used by a group of peoples, who were able to be a tongue that mixes between their languages. And the Arabic language on many occasions.

The research paper touches on the aspects of influence and vulnerability between the Arabic language and other languages, and on the other hand, it shows the reflection of the Arabic language on many cultures of peoples.

key words:

Arabic language - civilization - cultural cross-fertilization

تقديم:

تشير منظمة الأمم المتحدة في أحد بياناتها أن متحدثي العربية يتوزعون بين المنطقة العربية وعديد المناطق الأخرى المجاورة في إشارة منها إلى كل من (تركيا وتشاد ومالي السنغال وإرتيريا)، على اعتبار أن العربية تحظى بأهمية قصوى لدى المسلمين، إنها اللغة المقدسة (لغة القرآن)، ولا يمكن تأدية الشعائر الدينية إلا بها، فالصلاة توجب تأديتها بها لكون القرآن لسان عربي، لذلك فاعتناق الإسلام يقتضي إتقان بعض من كلماتها، كما أن العربية هي كذلك لغة شعائرية رئيسية لدى عدد من الكنائس المسيحية في المنطقة العربية حيث كتب بها كثير من أهم الأعمال الدينية والفكرية اليهودية في العصور الوسطى. لهذا نحاول تلمس مدى تأثير اللغة العربية على بعض من الحضارات وتبيان كيف صارت اللغة العربية رافدا ثقافيا لها.

للتناول هذا الإشكال ننطلق من حضور اللغة العربية في العديد من الألسنة العالمية مع التركيز على نماذج، بعدها ننتقل للحديث عن مظاهر التأثير والتأثر بين اللغة العربية وثقافات شعوب أخرى؛ نقف في هذا الصدد عند مسألة الشعوبية في الشعر العربي، ثم دور الدين في جعل الشعوب الأخرى ترى بأن اعتناق الإسلام يقتضي تعلم اللغة العربية مما كان له تأثير على ثقافتها. ولا تفوتنا الفرصة إلى الإشارة أن أهمية هذا الموضوع تنبع في إماطة اللثام عن مظاهر التداخل

والتمازج بين اللغة العربية واللغات الأخرى ومن جهة ثانية الكشف عن إسهام اللغة العربية في صناعة حضارات امتد حضورها ليشمل العلوم الإنسانية والعلوم الحقة.

أولا: اللغة العربية وسر الاستمرارية؛

العودة إلى تاريخ اللغات وتطورها يقفنا أمام حقيقة، أن الإسلام لعب دورا محوريا في تحقيق الوحدة اللغوية بين مختلف الأجناس، فعلى الرغم من أنَّ الإسلام لم يُجْبر أحدًا على اعتناق عقيدةٍ معيَّنة، أو التحدُّث بلغةٍ مُعَيَّنَة، وعلى الرغم من أنَّ الإسلام ضمَّ في إمبراطوريَّته الواسعة أغلب اللغات واللهجات المعروفة في العالم وقتذاك، فإنَّ الإقبال على اعتناق الإسلام كان يحمل في طيَّاته إقبالًا على تعلُّم اللغة العربيَّة، حتى غير المسلمين قد اتَّخذوا من العربيَّة لسانًا لهم.

لا مراء أن السيادة اللغوية التي حظيت بها اللغة العربية في العصر الوسيط باعتبارها لغة العلوم منحها إقبالا متزايدا، إلى درجة أن هناك من يكن عداء للإسلام ومعه اللغة العربية يبوح بحقائق عن قصد أو غير قصد؛ إنه بول ألفارو -وهو علماني إسباني- يقول وعلامات الأسف بادية عليه: "المسيحيُّون مولعون بقراءة الأشعار والقصص العربيَّة، وهم يدرسون فقهاء الإسلام وفلاسفته، لا ليدحضوا ما يقولون؛ بل لتصحيح لغتهم العربيَّة وتنميق أسلوبهم، وهل لدينا اليوم من غير رجال الدين مَنْ يقرأ التفاسير اللاتينيَّة للكتاب المقدَّس، أو مَنْ يدرس الأناجيل، أو كتابات الأنبياء والرسل؟ وا أسفاه! إنَّ جميع شباب المسيحيِّين من ذوي المواهب يعكفون على قراءة الكتب العربيَّة ودراستها بحماس"[1]. والسبب في ذلك أنَّ اللغة العربيَّة كانت لغةً أدبيَّةً متقدِّمة في ساحة الفكر تقدُّمًا واضحًا[2].

إلى جانب هذا عبر **ول و ايريل ديورانت** ما مرة عن هذه المعطيات بقوله: "قَوَّى علماء الإسلام في ذلك العهد دعائم الأدب العربي الممتاز بدراساتهم الواسعة للنحو، الذي جعل اللغة العربيَّة لغة النطق والقياس، وبما وضعوه من المعاجم التي جمعوا فيها ثروة هذه اللغة من المفردات في دقَّةٍ ونظام، وبموسوعاتهم ومختصراتهم، وكتبهم الجامعة التي جمعت كثيرًا من أشتات الآداب والعلوم لولاها لخسرها العالم، وبمؤلَّفاتهم في النصوص والأدب، والنقد التاريخي، ولا حاجة بنا إلى ذِكْرِ أسماء هؤلاء العلماء الأعلام"[3].

ولما كانت اللغة من أشد الظواهر الانسانية تشعبا وتعقدا، لكونها تشكل نظاما معقدا من الرموز التي تحمل في طياتها معاني مختلفة، فإنها مثلت أهم المداخل الموظفة لأجل الولوج الى عوالم الثقافة والبنية الاجتماعية للناس بل

وصياغتها وتوريثها، لتصبح بهذا من أهم العناصر الأساسية في تكوين وبناء المجتمع، الأمر الذي يمنحها فعل المشاركة الإيجابية وبشكل أساسي وفعال في تحديد الهوية الجماعية للمجموعة البشرية التي تتحدث بها، هذا الأمر يؤكد صحة وجود علاقة متينة بين اللغة والمجتمع، فهما وجهان لعملة واحدة لا يوجد مجتمع دون لغة ولا لغة دون مجتمع.

والحق أن العاملين؛ اعتناق الإسلام، والإقبال على تعلُّم العربية؛ لكونها مثلت لغة العلوم، نتج عنه -فيما بعد- انتشار اللغة العربيَّة؛ التي لم تكن تتجاوز الحدود الجغرافية للجزيرة العربيَّة إلى حدود العالم العربي الذي نعرفه حاليًّا، لتشمل بعدها شمال إفريقيا، إضافة إلى مناطق أخرى كانت عربيَّة ذات يوم، ثُمَّ جرت عليها ظروفٌ تاريخيَّةٌ جعلت العربيَّة تنحسر عنها، كالهند وأواسط آسيا وشبه الجزيرة الأيبيريَّة وبعض مناطق وسط إفريقيا وغربها. ما يؤكد ما نذهب إليه هو أن النتاج الفكري في مختلف العلوم كتب باللغة العربيَّة -في تلك المرحلة- إذ كان يُقرأ في أقصى الشرق على نحو ما يجري في أقصى الغرب؛ هكذا تحقق توحيد لغوي، جمع بين كلِّ الاختلافات مع الأعراق والأديان والأجناس والبلاد.

بالعودة إلى حاضرنا الذي نحياه، يظهر بأن اللغة العربية بدأت تفقد وهجها جراء السياسات المتعاقبة؛ خاصة في البلدان العربية نفسها؛ إذ صارت مهتمة أكثر في برامجها التعليمية بلغة المستعمر، مثلا نجد في المغرب هيمنة اللغة الفرنسية رغم أن الدستور المغربي ينص على أن اللغة العربية إلى جانب الأمازيغية هي اللغتان الرسميتان، لكن الواقع يجسد غير ذلك. وبالرغم من هذه الملاحظات التي أشرنا إليها فإن اللغة العربية ما زالت تمثل مجالًا متينًا من مجالات التفاهم والتواصل عبر الشعوب التي تتحدَّث بها من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي، والإنتاج الأدبي أو الفني الموظف للغة العربية الفصحى يُسَوَّق له في كلِّ هذه الأرجاء، على العكس ممَّا هو مصنوعٌ باللهجات المحليَّة، كما أنَّه أكثر بقاءً من الناحية الزمنيَّة.[4] كذلك نكاد نجزم أن اللغة العربيَّة حاضرة بقوة في التواصل بين المغتربين العرب في البلاد غير العربيَّة، وما يثبت ذلك هو وجود مجموعة من الصحف والقنوات الفضائية داخل بلدان غير عربية، تخصص لنقل الأخبار أو برامج تلفزية تنقل المشاهد لعوالم باللغة العربية، التي تُعَبِّر عن حالة من حالات التواصل القائم على الأساس اللغوي، نستطيع في هذا الصدد أن نعدُّ أكثر من أربعين صحيفة ومجلة وقناة فضائية بعضها متخصِّصة[5].

لا مراء أن اللغة العربية تمازجت مع ألسنة أخرى في العديد من المناسبات، أمكننا الإشارة في هذا الباب إلى الحرف العربي الذي يحضر لدى العديد من شعوب العالم إذ "لم يتخذ المسلمون الحروف العربية وحدهم، بل اتخذها الزردشتيون أيضا، فنشأت لغة فارسية حديثة محتوية على كثير من الكلمات العربية."[6] لقد شكلت اللغة العربية حضورا

قويا في الحضارة الإنسانية عامة والحضارة الإسلامية خاصة لذلك وعى المستعمر للبلدان العربية قوة هذه اللغة وعمل بكل الوسائل على توقيف زحفه ولو مؤقتا ، وتكمن قوَّة اللغة العربية في كونها عامل من عوامل التواصل والتقارب والالتقاء، ذلك الأمر هو ما تَمَثَّل في حرص دول الاستعمار على كسر هذه الرابطة اللغويَّة في الدول العربية التي احتلتها؛ لأنَّ ثَمَّة إدراكًا عميقًا بأثر اللغة في التواصل بين الشعوب الناطقة بها.

ثانيا: اللغة العربية مكون لغات أخرى؛

لما انتشر الإسلام في مختلف بقاع العالم، أقبلت الأمم والشعوب الداخلة في الإسلام تتعلم اللغة العربية، وحتى من لم يدخل في الإسلام اهتم بها خاصة المستشرقين الذين سعوا من ذلك الوصول إلى حقيقة الإسلام وفي الوقت نفسه الظفر بفرصة التشكيك في صحة الرسالة المحمدية. لذلك أصبح للغة العربية تأثير كبير على باقي اللغات، خاصة في المفردات اللغوية . والمتأمل في طبيعة العلاقة الناشئة بين اللغة العربية ولغات الأمم الداخلة في الإسلام يلفي بأن التأثير الرئيسي للغة العربية حصل في الدول التي كانت تحت تدين بالدين الإسلامي. أصبحنا نرى أن اللغة العربية تشكل مصدرا رئيسا لمفردات لغات عدة نذكر منها على سبيل المثال:

اللغة الأمازيغية؛ الكردية؛ الفارسية؛ البشتوية؛ الأردو؛ البنجابية؛ السندية؛ التاغالوغية؛ والتركية؛ الإسبانية والهندية والبرتغالية والكتالونية والسواحلية والصومالية ولغة ملايو والإندونيسية؛ إضافة إلى لغات أخرى في الدول التي تتحدث بهذه اللغات المذكورة، لو نظرنا مثلاً الكلمة العربية "كتاب" تستخدم في معظم اللغات المذكورة سابقاً (باستثناء الإسبانية والكتالونية والبرتغالية حيث تستخدم كلمة مشتقة من أصل لاتيني)، بينما باقي اللغات مثل المالطية والنوبية تعتبر مشتقة من اللغة العربية بدلاً من استعارة المفردات. بيد أن معنى استعارة يتباين من المصطلحات الدينية (مثل كلمة "صلاة" في الأمازيغية) إلى المصطلحات العلمية (مثل كلمة "منطق" في الأويغورية (إلى أحرف العطف اليومية (مثل كلمة "لكن" في الأردو والهندية والبنجابية). معظم لهجات الأمازيغية (مثل اللهجة القبائلية (إضافة إلى السواحلية تستعير بعض الأرقام من العربية. الشيء نفسه نجده في المصطلحات المستخدمة من قبل المسلمين حول العالم هي استعارة مباشرة من اللغة العربية مثل "صلاة" و"إمام". اللغات التي ليست على تماس مع العالم العربي تستعير الكلمات العربية من خلال لغات أخرى بدلا من نقلها مباشرة من اللغة العربية، على سبيل المثال العديد من الكلمات العربية القديمة المستعارة في اللغة الهوسية تم استعارتها من اللغة الكانورية[7].

في مقابل ذلك نسجل أن اللغة العربية تحظى بأهمية في لغات البلدان الأوروبية؛ إذ كان للعربية ابتداء من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي تأثير كبير في اللغات الأوروبية، استمر مدة وجودها في الطرف الجنوبي من أوربا، خاصة بالأندلس وصقلية وما حولهما من الجزر حتى آخر القرن الخامس عشر. ولما كان وجود اللغة العربية شهد تراجعا في تلك البلاد، فإن بصمة اللغة بقيت حاضرة بقوة على ألسنة أهلها المتكلمين بالإسبانية أو البرتغالية أو غيرهما من اللغات المحلية حتى الآن.

وفي سياق الحديث عن تأثير اللغة العربية في الإسبانية والبرتغالية، يستوقفنا عمل معجمي **للأب جان دي صوصة** (ت 1842 م) وسم بـ "معجم الألفاظ الإسبانية البرتغالية المشتقة من العربية" ضم هذا المعجم حوالي ثمانية عشر ألف كلمة مشتقة من أصل عربي، في اللغة الإسبانية واليونانية[8].

على غرار هذا التأثير سعى بعض الباحثين الأوروبيين إلى دراسة الكلمات العربية الدخيلة في المعجمات وتتبع تاريخ دخولها فيها، نجد على سبيل المثال الكاتب الفرنسي **بيير جيرو** أقرّ بتأثير اللغة العربية في اللغة الفرنسية وقدم قائمة من مائتي وثمانين كلمة دخلت من العربية إلى الفرنسية في عصور مختلفة من التاريخ. إلى جانب هذا الإسهام نقف أمام فريق آخر انصب اشتغاله على دراسة الكلمات العربية الدخيلة بإظهار الوسائل والطرق التي دخلت من خلالها إلى فرنسا ولغتها مع التأكيد على توثيق تلك المعلومات وإسنادها بالدليل العلمي المتوفر، وقدموا قائمة شملت حوالي أكثر من ستمائة كلمة.

وإذا كانت هذه الأبحاث قد عنيت بحضور اللغة العربية في اللغة الفرنسية فإن الأمر الأبحاث امتدت لتشمل لغات أخرى كان لها تأثر باللغة العربية، حسبنا أن نشير في هذا الصدد إلى رومانيا التي شهدت مجهودات بحثية تتقصى الألفاظ العربية؛ في هذا الباب نقف أمام أعمال باحثين أكاديميين نذكر على سبيل التمثيل؛ **نيوكولاي دوبرشان**، حيث قام بتتبع ودراسة الألفاظ العربية الأصل الدخيلة في اللغة الرومانية عبر التاريخ فقال في هذا المجال: "دخلت عدة مئات من الألفاظ العربية اللغة الرومانية بواسطة لغات أخرى، وقد دخل معظم هذه الألفاظ - أي أكثر من 400 مفردة - إضافة إلى مئات أخرى من المشتقات منها في اللغة الرومانية وفقا لقواعد اللغة التركيبية وفي بعض الحالات ساعدت لغات بلقانية أخرى مثل البلغارية والصربية - في عملية انتقال هذه الألفاظ من العربية إلى الرومانية. ولا تزال تستخدم في اللغة الرومانية الأدبية المعاصرة ما يقارب مائة لفظة عربية الأصل بصورة عادية، بالإضافة إلى المشتقات منها، كما دخل عدد أصغر من الألفاظ بواسطة اللغات الرومانسية الإسبانية والإيطالية والفرنسية، وفي الوقت الأخير بواسطة اللغة الإنجليزية"[9].

والمتأمل في اللغة الإنجليزية الحاضرة في السياقات التواصلية عبر العالم حاليا باعتبارها لغة الاقتصاد بامتياز، يضع افتراضا أوليا هو أنها لم تتأثر باللغة العربية؛ يمكن إيعاز هذا إلى أن الجزر البريطانية كانت بمنأى عن موجة الفتح العربي الإسلامي لجنوب أوروبا، وحوض البحر المتوسط، لكن انتشار العلوم بالعربية لم يقف عند حدود هذه النقطة التي وصل إليها العرب، بل لم يترك مكانا في أوروبا دون أن يبلغه. وهكذا ألفينا في الإنجليزية قدرا كبيرا من الكلمات ذات الأصول العربية، أحصى بعض الباحثين بضع مئات منها، دخلت إلى الإنجليزية مباشرة أو بالواسطة، وما يجب التأكيد عليه هو أن صلة العربية بالإنجليزية بدأت متأخرة في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، ولمدة خمسة قرون على الأقل بعد ذلك[10].

على سبيل الختم، نرى بأن الألفاظ العربية تحمل في طياتها طبيعية الصوت المتغلغل في الأثير، فمن لغة الإسبان والترك والروم إلى سائر اللغات الأوروبية، وبعد حيز من الزمن تعود إلينا هذه الألفاظ العربية كالطيور المهاجرة إلى مواطنها الأولى، ولكن بعد أن تغير من ألوانها، وأطواقها وأجراسها وأصواتها، وكأنما يقودها إلينا دافع الحنين إلى الوطن في البلاد العربية.

ثالثا: إسهام اللغة العربية في بناء حضارات أمم أخرى؛

تشكل اللغة العمود الفقري لحياة الشعوب والمجتمعات، باعتبارها وسيلة مهمة للتواصل والتفاهم بين الناس، لذلك توجد بالعالم اليوم العديد من اللغات المتنوعة، التي تختلف حسب الأهمية والمكانة وكذا القواعد وشكل الخط. لهذا فهي "تلعب دورا محوريا في مجتمع المعرفة، فهي حاضنة الثقافة والعلوم والمعارف في أي من المجتمعات وهي جزء من منظومة المعرفة وشرط لازم لتحقيقها ولتسهيل عمليات إنتاج ونقل وتوطين واستخدام هذه المعرفة."[11]

وإذا كانت اللغة العربية إحدى أهم هذه اللغات التي ينطق بها ملايين البشر؛ ليس اليوم فقط وإنما عبر التاريخ البشري، فإن أهمية ذلك ترجع لمكانتها عند العرب والمسلمين عموما. هذه اللغة تنتمي إلى اللغات السامية، التي تضم لغات حضارة الهلال الخصيب القديمة، وتصنف ضمن المجموعة السامية الوسطى. نشأت هذه اللغة في شبه الجزيرة العربية، وقد استطاعت الحفاظ على أصالتها ونقائها بسبب عزلة أهلها، الذين كانوا يعتمدون على الترحال ولا يختلطون كثيرا بالأقوام الأخرى، لكن هذا الترحال ساهم أحيانا في حدوث اضطراب في اللغة، وبالتالي تعدد اللهجات المنبثقة من نفس اللغة.

والحق أن ظهور الدعوة الإسلامية مثل الدفعة القوية للغة العربية، حيث توحدت اللهجات في لغة واحدة، واستفادت فيما بعد من الاهتمام الذي أولته لها الدول التي حكمت العالم الإسلامي خلال القرون اللاحقة لظهور الدين الاسلامي. لذلك حظيت بأهمية ومكانة كبيرة لدى المهتمين باللغات، نظرا لما تتوافر عليه من مميزات وخصائص وقواعد دقيقة، جعلتها في مصاف اللغات المميزة إلى اليوم. وتكمن هذه الخصيصة في قدرتها الخارقة على الحفاظ على أصالتها التي كانت تتميز بها لغتها الأم منذ عشرات القرون، إضافة إلى غنى معجمها اللغوي وثرائه، الأمر الذي يسمح للمتكلمين بها التعبير عن كل ما يخالج ذواتهم من أحاسيس ومشاعر بدقة متناهية.

لا شك أن أهمية اللغة العربية ومكانتها تضاعفت بشكل كبير بعد ظهور الإسلام، إذ أصبحت لغة الدين والأمة، لكون القرآن الكريم تنزل بها، وهو ما أسهم في تعزيز الاهتمام بها، حيث منحتها الدول التي تدين بالإسلام من وادي السند شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا اهتماما كبيرا، كما أن المدارس اللغوية والدينية التي انتشرت في العالم الإسلامي عملت على تطوير هذه اللغة ووضع قواعدها.

وبالعودة إلى التاريخ نسجل بأنها في العصر الوسيط عرفت أوج ازدهارها، حيث كانت لغة الدين والعلوم والآداب والسياسة، وألفت بها آلاف الكتب في مختلف المجالات. لذلك لعبت دورا مهما في التقريب بين الشعوب والثقافات، على اعتبار أنها مثلت صلة وصل بين الحضارات القديمة والحديثة، بفضل الترجمة التي انتشرت بشكل كبير أيام الدول العباسية، التي من خلالها استطاع العالم اليوم أن يستفيد من الإرث الحضاري الإنساني القديم، عبر إعادة ترجمة الكتب العربية إلى اللغات الأجنبية الأخرى.

لا مراء أن للغة العربية حضور حضاري كبير، فبعد أن بدأ الإسلام ينتشر في أرجاء مختلفة خارج جزيرة العرب، انتشرت معه اللغة العربية وأصبحت لغة يتحدث بها جانب كبير من سكان المعمورة، بل إنها استطاعت في عصر النهضة الإسلامية أن تستوعب لغة الفلسفة والعلم، فترجم العرب الكثير من أعمال فلاسفة الإغريق. وكتبوا باللغة العربية مؤلفات في علوم الرياضة والفلك والفيزياء والكيمياء وعلوم المجتمع، وقد تواكب ذلك مع جهد كبير في تعقيد اللغة العربية بما يجعلها قادرة على الدرس، بحيث أصبحت مكونا رئيسا من مكونات العقل العربي.[12]

من هنا مثلت اللغة العربية عاملا رئيسا في بناء لسان حضاري؛ تجسد في إقبال "الشعوب غير العربية على تعلمها وهجرت لغاتها"[13]، من ثمة فاللغة العربية عاشت عصرا اتسمت فيه بكونها لغة الحضارة، بينما كانت اللغات الأخرى لاسيما

الأوروبية في وضع متخلف جدا، تتلقى فيها اللغة العربية ثروتها الحضارية، إذ صارت أنذاك لغة الحضارة الأولى في العالم.[14]

عندما ننظر في هذه المعطيات، نسجل أن التلاقح الثقافي الذي حصل في بعض المناطق من العالم خلال فترة العصر الوسيط يدفعنا إلى الحديث عن أوروبا، وعن شبه الجزيرة الإيبرية تحديدا، حيث برزت الثقافة الإسلامية وكانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في هذه البلاد، لذلك تبلورت حضارة ماتزال معالمها شاهدة إلى اليوم، الأمر الذي دفع البلدان الأخرى من أوروبا إلى السير على نهج الأندلس فتمت ترجمة النتاج الإنساني الإسلامي العربي، إذ امتدت هذه الترجمة إلى الكثير من أقطار آسيا وأوروبا. ولما استمر الحكم الإسلامي العربي زهاء سبعة قرون في اسبانيا. فإننا ألفينا في نهاية القرن الخامس عشر تدريس الكتب العربية في الجامعة الأوروبية، وكانت مؤلفات الرازي، وابن سينا تدرس في كليات الطب الكبرى بمونبيليه حتى القرن الثامن عشر.

هكذا؛ إذن كان للغة العربية تأثير كبير في حياة الغربيين، حيث ظهر ذلك في كثير من اللغات الأوروبية، إذ أخذت الإسبانية عن طريق اللاتينية المترجمة من العربية الأشياء الكثيرة من مقوماتها اللغوية؛ اقتصاديا، واجتماعيا، وثقافيا، وحضاريا. على هذا الأساس وجدنا اللغة العربية كانت في العصور الوسطى لغة الفلسفة والمنطق والطب ومختلف العلوم والفنون، بل أكثر من ذلك، وكانت اللغة العربية لغة دولية كما هو الشأن اليوم مع اللغة الإنجليزية، إذ المصطلحات المتداولة تمتح من معين اللغة العربية، لذلك لعبت دروا عالميا في انتقال الحضارة من المرحلة القديمة في مصر إلى المرحلة الحديثة والمعاصرة في أوروبا الغربية.[15]

تجب الإشارة في هذا الصدد أن اللغة العربية جزء لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية. فعندما ازدهرت الحضارة الإسلامية ازدهرت معها اللغة العربية، ذلك لأن الحضارة تأسست على اللغة. ولما كانت اللغة أساس التفكير والتعبير والتدوين كما أسلفنا القول، فإن التاريخ أثبث أن أوربا في العصر الوسيط تلاشت فيها الحضارة الرومانية. ومرت أوروبا من سحابة مظلمة داكنة من التأخر والانحطاط. لتجد في القرن السادس عشر الميلادي حضارة إسلامية شامخة، لم تترك علما ولا فنا إلا أسهمت فيه بحظ وافر، وهرع الطلاب الأوروبيون إلى مراكز الحضارة العربية الإسلامية، يترجمون ما استطاعوا ترجمته من مؤلفات المسلمين، كما أشرنا إلى هذا آنفا؛ حيث يعملون على محاكاة ما أمكنهم محاكته من الفنون العربية[16]. وهم بذلك يسعون إلى الخروج من عصر الظلمات عن طريق الاستفادة من النهضة الإسلامية في مختلف العلوم والفنون. وهنا وجب التنبيه أن اللغة العربية ما هي إلا مكون من مكونات الحضارة العربية الإسلامية؛ لأن مفهوم الحضارة مركب ومتعدد المجالات.

خاتمة:

وجدت الدِّراسة أنَّ تأثير اللغة العربية على الحضارة الإنسانية كان بارزا ولا يمكن انكار هذا التأثير، تخلص الورقة إلى أن اللغة العربية والثَّقافة الإسلاميَّة، تضافرتا معا لترسم معالم صرح حضاري متميز جمع بين مختلف الأعراق والأجناس تم بموجبها كسر الحدود الجغرافية الوهمية التي فرقت ما يقتضي أن يجمع على اعتبار أن الإسلام جاء ليخاطب أمم المعمور دون استثناء وكان فرصة لتحقيق التلاقح بين شعوب العالم مصداقا لقوله تعالى في سورة الحجرات: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير." (الآية: 13)

كذلك نخلص إلى أن اللغة العربية امتزجت في مجتمع اعتنق الإسلام وأصبح هو العمود الفقري الذي أزال كل الحواجز مما نتج عنه علاقة تكاملية مترابطة ومتلاصقة لا يمكن ان يحدث اي انفصال بينهما، فهي علاقة تأثير وتأثر كون اللغة هي أكثر الوسائل الاجتماعية أهمية التي يستطيع الانسان من خلالها التعبير عن مكنوناته، وخباياه الداخلية ويخرجها الى البيئة والوسط الاجتماعي المتواجد فيه، لذلك اللغة العربية ساهمت وتسهم في صناعة الحضارة الإنسانية.

هوامش:

[1] – كارين أرمسترونج، "سيرة النبيّ محمد"، ترجمة: فاطمة نصر/ محمد عناني، سلسلة كتب سطور، الطبعة الثانية، سنة 1998م، ص:32-33.

[2] – ف. بارتولد ،"تاريخ الحضارة الإسلامية"، ترجمة: حمزة طاهر، تقديم: عبد الوهاب عزام بك، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة، مصر، الطبعة الأولى، سنة: 1434هـ /2013م، ص:63.

[3] – ول وايريل ديورانت، "قصة الحضارة "، ترجمة: محمد بدران، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، المجلد الرابع، الجزء الثاني رقم 13.ص: 171/13- 172.

[4] – نشير هنا إلى أحد تصريحات الممثل الراحل نور الشريف (**28أبريل 1946– 11 أغسطس 2015**) لبرنامج تلفازي بأن مسلسل "عمر بن عبد العزيز" الذي قام ببطولته، والذي كان باللغة العربية الفصحى، هو كعادة هذه النوعية من المسلسلات يظل دائمًا معروضًا ومطلوبًا للمشاهدين العرب، وأنَّ كلَّ القنوات العربية تتناوب إذاعته، وهذه –يواصل– خاصية لا تمتلكها المسلسلات الأخرى.

[5] – نذكر في هذا الباب قناة فرانس 24، روسيا اليوم، بي بي سي عربي، آي 24 نيوز، سي إن إن العربية، بخصوص الصحف نجد: عرب تايمز، الهدى، الحوادث لعرب أمريكا...

[6] – ف. بارتولد، " تاريخ الحضارة الإسلامية"، ص: 70.

[7] – انظر: https://arabiclanguage100.wordpress.com/

[8] – سعيد أحمد بيومي؛ "أم اللغات، دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها"، الطبعة الأولى، سنة 1423هـ /2002م. ص: 164 – 379.

[9] – د. نيكولاي دوبرشان، "تطور دلالات الألفاظ العربية الأصل في اللغة الرومانية"، المجلة العربية للثقافة، تونس، العدد :28، مارس 1995، ص: 171.

[10] – عبد الصبور شاهين، "دراسات لغوية"، مؤسسة الرسالة، ص: 229 – 230.

[11] – بناء مجتمعات المعرفة في المنطقة العربية –اللغة العربية بوابة المعرفة "، تقرير صدر في عام 2019 عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو). ص:04.

[12] – محمد عابد الجابري، "تكوين العقل العربي"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الجزء 1 الطبعة العاشرة، ص: 33.

[13] – مجلة الفيصل، العددان: 547– 548، شوال/ ذو القعدة 1443هـ / ماي/ يونيو 2022م، ص: 67.

[14] – محمد عبد الشافي القوصي، "عبقرية اللغة العربية"، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، إيسسكو، الرباط، المغرب 2016، ص: 139.

[15] – معراج أحمد معراج الندوي، "اللغة العربية ودورها في بناء الحضارات العالمية"، اطلع عليه في الموقع الإلكتروني: http://www.nidaulhind.com/ بتاريخ: 2023/06/23، على تمام الساعة 18.41 بتوقيت غرينيتش.

[16] – انظر الموقع الإلكتروني: https://dalwaberita.com/

لائحة المصادر والمراجع:

1- كارين أرمسترونج، "سيرة النبيّ محمد"، ترجمة: فاطمة نصر/ محمد عناني، سلسلة كتب سطور، الطبعة الثانية، سنة 1998م.

2- ف. بارتولد،"تاريخ الحضارة الإسلامية"، ترجمة: حمزة طاهر، تقديم: عبد الوهاب عزام بك، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة، مصر، الطبعة الأولى، سنة: 1434هـ /2013م.

3- ول وايريل ديورانت، "قصة الحضارة "، ترجمة: محمد بدران، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، المجلد الرابع، الجزء الثاني رقم 13.

4- سعيد أحمد بيومي؛ "أم اللغات، دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها"، الطبعة الأولى، سنة 1423هـ /2002م.

5- د. نيكولاي دوبرشان، "تطور دلالات الألفاظ العربية الأصل في اللغة الرومانية"، المجلة العربية للثقافة، تونس، العدد :28، مارس 1995.

6- عبد الصبور شاهين، "دراسات لغوية"، مؤسسة الرسالة.

7- بناء مجتمعات المعرفة في المنطقة العربية –اللغة العربية بوابة المعرفة "، تقرير صدر في عام 2019 عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو).

8- محمد عابد الجابري، "تكوين العقل العربي"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الجزء 1 الطبعة العاشرة.

9- مجلة الفيصل، العددان: 547- 548، شوال/ ذو القعدة 1443هـ / ماي/ يونيو 2022م.

10- محمد عبد الشافي القوصي، "عبقرية اللغة العربية"، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، إيسسكو، الرباط، المغرب 2016.

11- معراج أحمد معراج الندوي، "اللغة العربية ودورها في بناء الحضارات العالمية"، اطلع عليه في الموقع الإلكتروني: http://www.nidaulhind.com/ بتاريخ: 2023/06/23، على تمام الساعة 18.41 بتوقيت غرينيتش.

12- https://arabiclanguage100.wordpress.com/

13- https://dalwaberita.com/